

في البيت الخراب ، بذور شك تدفع المقاتل الى الطعن بمجموع القيم التي اكسبته اياها الحرب ، فيشكك بالعقيدة واليقين وينتابه شعور بالذنب لقتله الاطفال والنساء . وتحول حالة الشك عند بطل القصة الى ما يشبه التوزع بين عالمين ، اليقين الكامل ، والتمرد على اليقين . وتقول القصة ، ان التردد والشك هما نتاج لحالة الهدنة التي وضعت البطل في بيته ومنعته عن القتال . ولكن . . . في نهاية القصة ، ينحل التردد ويذوب الشك ويرجع البطل الى حالة الاستقرار النفسي الذي اربكته الهدنة . يرجع البطل الى استقراره بعد ان يتقدم الاعداء من خلف الجبال ، فيأتيهم بطل القصة ويعمل فيهم تفتيلا وتسيلا دماؤهم وتهبط جثثهم على الارض . عند ذلك يشعر البطل بأنه أسترد ما اضاعه . اذ ان اليقين الكامل لا يتحقق الى بفعل الموت الذي يحقق هداة النفس ويشبع ظمأ الارض .



ولئن انخرقت بعض الكتابات عن السياق العام الذي نلاحظه في الشعر والادب الانعزاليين . فهذا الانحراف يرجع الى عدم قدرة صاحبه على اللحاق بشكل التعبئة الجديد ومضمونه . يونس الابن ليس شاعرا مقاتلا ولو انه يعلن انتماءه من القصيدة الاولى في ديوانه « ابو لبنان وستين حرب » . صحيح ان يونس الابن حقق النقلة النوعية في التوجه الى الناس نحو اعتماد اشكال فنية أقرب مثلا وتداولها من شعره السابق على الحرب . لكنه لم يستطع الالتحاق بالشعر المقاتل . يونس الابن كان قبل الحرب يحاول في شعره ان يرفع لبنان الى مستوى الحقيقة الشعرية . ولا ننسى قصيدته التي غناها وديع الصافي « لبنان يا قطعة سما » . هذه القصيدة ترى للبنان بعيدا عن الصراعات الارضية والطموحات الارضية . دوره في العالم يتمثل بالشعر . اذ في حين ينشغل البشر بالاختراعات والاكتشافات ترى لبنان ثاقبا في الزمن :

« معرض الاهي ،

بالسما مسقوف

كيف ما التفتنا حولنا ،

منشوف

لوحات عا ها الارض مشلوحه ،

كل لوحة تغار من لوحة . . . »

لبنان ينسبه صراعاته وهمومه الارضية . وطبيعي ان يكون سكان اللوحات الجميلة عرقا من البشر يختلف عن الاعراق الاخرى . وحين يشتعل لبنان ويتقاتل ابناءؤه فانما بسبب الوافد الغريب ، المقيح الشكل السيء الطباع .

هذا الوافد الغريب السيء الطباع المغتصب الارض والاعراض اتي ليزرع الشقاق بين « الاخوة اللبنانيين » ، يونس الابن ، رغم انسجامه مع متطلبات ادب الحرب التي تقتضي تغييرا في شكل التعبير ومداه . الا انه لم يندرج نهائيا في مجموع المقولات التي كتبناها الجميع ، وهي مقومات لا تتجاوز منطق الشعار . قلنا ، يونس الابن يتسع في الادب الانعزالي حالة تقع في سياق تطور الثقافة الانعزالية التي مرت بمراحل عديدة . فننـذ